الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

دار اللغة والادب العربي

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية

1963 لسنة 2014

www.dawatjournal.com

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob: +9647827236864 - +9647721458001

التبادلُ الفونيميّ في الصوامت والصوائت القصيرة في تفسير (مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر) للسيد مير علي الحائري (ت1353هـ)

أ.د. ليث قابل الوائلي
جامعة كربلاء-كلية التربية للعلوم الانسانيّة-
قسم اللغة العربيّة

كاظم طارش عبدعلي صايح
طالب دراسات عليا - ماجستير

Phonemic Exchange in Consonants and Short Vowels in the Interpretation of (Pearls Collectibles and Fruit Pickers) by Sayyid Mir Ali Al-Hairi (d. 1353 A.H.)

Prof. Laith Qabel Al-Waeli
Researcher: Kadhum Tarish Abd Ali Sayeh

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان الأثر الدّلالي الّذي يُحدثه التبادل بين الصوامت والصوائت القصيرة في فاء الكلمة وعينها ولامها، وبيان رأي العلماء والمفسرين في النصوص القرآنيّة الكريمة، وموقف السيد مير علي الحائري من هذا التبادل في تفسيره(مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر).

Abstract

This research aims to clarify the semantic effect caused by the exchange between consonants and short vowels in the Faa' (فاء)، Ain (عين)، and Lam (لام) of the word. It explains of the opinion of scholars and commentators on the noble Qur'anic texts، and the position of Sayyid Mir Ali Al-Hairi on this exchange in his interpretation of "Durar collectibles and Fruit Pickers".

المقدّمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربّ العالمين حمداً كثيراً لاينقطع أبداً ولاتحصي له الخلائق عدداً وأفضل الصلاة والسلام على حبيبه المختار، وآل بيته الكرام الأطهار، وصحبه المنتجبين الأبرار.

وبعد...

التبادلُ ظاهرةٌ لغويةٌ مشتركةٌ بين الصوتِ والصرفِ، منها ما هو قياسي يخضع لضوابط محدّدة مثلما يحصل في صيغة (افتعل) ومنها ما يتصل باللهجات العربيّة مثل قول العرب (جدت وجدف) ويقصد به إحلال حرف مكان حرف آخر في بنية المفردة يكون مقارباً له في الصفة والمخرج أو كليهما، مع الإبقاء على سائر حروف الكلمة ويؤدي هذا التبادل إلى إحداث أثر في دلالة المفردة؛ نتيجة ما يحمله الحرف من قيمة تعبيريّة، ويدخل التبادل الفونيمي ببنية الكلمة في جميع حروفها، فقد يكون في فائها أو عينها أو لامها، وقد ورد في تفسير (مقتنيات الدرر) ما يمثّل هذه الظاهرة، مع الإشارة إلى الأثر الدّلالي الّذي يحدث نتيجة الإبدال.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أسهمت في إثراء بحثي أهمّها: القرآن الكريم، ومعجم العين، وكتاب سيبويه، وتفسير الطبري، والشيخ الطوسي، والكشاف، والتحرير والتنوير، وتفسير مقتنيات الدرر وغيرها.

وقد بدأ البحث بتعرفِ التبادل في اللغة والاصطلاح، وتضمّن البحث محورين: الأوّل: التبادل بين الفونيمات الصامتة في اللفظ القرآنيّ، أمّا المحور الثاني: التبادل الفونيميّ بين الصوائت القصيرة في اللفظ القرآنيّ، وقد اعتمدنا في كلا المحورين على تقصّي آراء علماء اللغة والمفسرين، وإبراز رأي السيد الحائري، وترجيح ما ينسجم منها مع النصّ القرآني.

وتضمّنت خاتمة البحث أهمّ النتائج التي توصّل الباحث إليها، ونرجو أن نكون قد وفّقنا في كتابة هذا البحث المتواضع، وصلّى الله على محمّد وآله وصحبه، والحمد لله ربّ العالمين.

توطئة:

التبادل: في اللغة من مادة (بدل)

:"التبديل: التغيير. واستبْدَلْتُ ثوباً مكانَ ثَوبٍ، وأَخاً مكانَ أَخٍ، ونحوُ ذلكَ المُبادَلةُ. والإبدالُ"[١].

وفي المنجد الأبدال:"الشيء يُؤخَذُ مكانَ غيره"[٢].

وفي الاصطلاح: هو ظاهرةٌ مشتركةٌ بين الصوتِ والتصريفِ، ويكون قياسيا، ويقع في حروفٍ معيّنةٍ، مثل تاء (افتعل) إذا جاء بعدها أحد حروف الإطباق فإنها تُبدَلُ طاء، كقولهم في اصتبر: اصطبر، وغير قياسيّ، وهو سماعي غير مطرد في كلام العرب، ولكنّه يختلفُ باختلافِ القبائلِ، فقبيلة تقول: مدح، بالحاء، وأخرى: مدح، بالهاء. ولا يُعدُّ مخالفه مجانبًا للصواب اللغوي، ويقع – غالبًا – في جميع حروف المعجم، ولمّا كانت الحروفُ تتعاقبُ فيما بينها، فكذلك هذه الحركات تتعاقبُ فيما بينها في لغات القبائل العربية، وعُزِيَ إلى بعض قبائل الأزد ألفاظ تعاقبت فيها الحركات ما بين فتحٍ وكسرٍ، أو ضمٍّ وكسرٍ، أو فتحٍ وضمٍّ[٣]، ولهذا التبادل أثرٌ صوتي يعمل على تغيير الدّلالة، وقد ورد في تفسير مقتنيات الدرر مثل هذا التعاقب بين الصوامت والصوائت وبيان ما له من دلالة.

أ- التبادل في الفونيمات الصامتة في اللفظ القرآنيّ:

توجد في اللغة العربيّة ألفاظٌ كثيرةٌ تشترك في دلالِتها، وفي بِنيَتِها وحروفها، إلّا في حرف واحد يُميّزها، فيشترك اللفظان في الدّلالة من جِهَةِ العموم، ويفرّقهما الصوت المتمايز، بناءً على خصوصيّتِه الصَّوتيّة، لدلالة أحدهما عن سواه من وجه الخصوص.

وقد تطرّق ابن جني إلى هذا التمايز الّذي يُحدثه التعاقب بين اللفظين في بنية الكلمة:"من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك"[٤].

ومنه أيضًا ما نُقِلَ عن ابن فارس(ت٣٩٥هـ) قوله:"من سُنَن العرب إبدالُ الحروف وإقامةُ بعضها مقام بعضٍ: مَدَحَه ومَدَهَه وفرس رِفَلّ ورِفَنّ وهو كثير مشهور"[٥].

وهذا التبادل بالفونيمات بين الكلمات من المسائل التي عرفتها العربية

قديمًا، فالتعاقب الّذي حصل بين حرفي الخاء والقاف في كلمتي (خضم وقضم)، والحاء والهاء في كلمتي (مَدَحَه ومَدَهَه) أدّى إلى الاختلاف في المعنى، وقد يحدِث هذا التعاقبُ بين الألفاظ في فاء الكلمة أو عينها أو لامها، وقد جاء في تفسير السيد الحائري ذِكرٌ لهذا التعاقب بين الحروفِ وما تبعه من تباين في الدّلالة.

١- التبادل في فاء الكلمة في الكلمتين (أزّ و هزّ):

فكلمة (أزّ) وردت في قوله تعالى من سورة مريم: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}(مريم:٨٣)، وكلمة (هزّ) وردت في السورة نفسها: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا} (مريم:٢٥)، إذ إنّ الفعلين عيناهما ولاماهما حرف الزاي المشدّد، فعند فكّ التشديد يصيران:(أزز، وهزز)، فالتعاقب بين الهمز والهاء.

إذ عدّ القدماء هذين الحرفين من أعمق الحروف مخرجًا، والهمزة من الحروف المجهورة وأمّا الهاء فمهموسة[٦].

وذكر ابن جني في باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) بأنّ الهمز أخت الهاء في المخرج، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزِّ؛ لأنّك قد تهزّ ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة[٧].

وذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، في معجمه (مقاييس اللغة) معنى الهمزة والزاي مجتمعتين :"وَالْهَمْزَةُ وَالزَّاءُ يَدُلُّ عَلَى التَّحَرُّكِ وَالتَّحْرِيكِ وَالْإِزْعَاجِ"[٨].

وذكر الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) عن معنى (أزّ، وهزّ)، فقال عنهما:"الأزّ والهزّ والاستفزاز معناه التَّحْرِيكُ وَالتَّهْيِيجُ وَالْإِزْعَاجُ، فَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الشياطين تُحَرِّكُ الْكَافِرِينَ وَتُهَيِّجُهُمْ وَتُغْوِيهِمْ، وَذَلِكَ هُوَ التَّسْلِيطُ لَهَا عَلَيْهِمْ"[٩].

والخلاصة التي جاء بها السيد الحائري بأنّه قال: الأزّ والهزّ والاستفزاز أخوات بمعنى التهييج إلّا أنّ الأزّ يكون أشدّ فإنّ معنى تؤزّهم أزًا، أي : تزعجهم إزعاجًا من الطاعة إلى المعصية[١٠].

والمتتبّع للخطاب القرآني في الآيتين يجد المخاطَب في لفظ هزيّ- والياء هنا

للمخاطب المؤنّث -السيدة (مريم عليها السلام)- فيبدو التلطّف واضحًا؛ لأنّها في حالة تعب وهو ان الناتج من المخاض، أو قد يكون التلطّف لها من الله تعالى كونها مريم بنت عمران العذراء (عليها السلام) أمّا لفظة الأزّ فجاء في الآية التي وجّه الخطاب فيها للكافرين الّذين هم في موضع زجر، والّذي جعل الدّلالة متباينة بين اللفظين هو حرفا الهمز والهاء، فالحرفان كما وُصِفا بأنّهما من أبعد الحروف مخرجًا، إلّا أنّ الهمز صوتٌ شديدٌ مجهورٌ والهاء صوت مهموس، فتبادل الفونيمات أدّى إلى اختلاف الدّلالة.

٢- التبادل في عين الكلمة بين حرفي الصاد والطاء في لفظ (حصب): نحو قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}(الأنبياء:٩٨)، فقُرِئت بالصاد والطاء، وهذا التبادل بين الحرفين يؤدّي إلى الاختلاف في النطق وتباين في الدّلالة، فجاء في مقتنيات الدرر بأنّ الحطبَ غير الحصبِ، فالمرادُ من الحصبِ أنّهم يرمون في جهنّم كما ترمى الحصباء[١١]، وقد تكون صفة الاطباق مسوّغًا في هذا التعاقب إلّا أنّ الصادَ صوتٌ مهموسٌ رخوٌ، والطاء مجهور شديد[١٢].

وذكر الزجّاج(ت٣١١هـ) هذا التعاقب في القراءات فقال:"فمن قرأ حصَبُ فمعناها كل ما يرمى به في جهنم، ومن قال حطب فمعناه ما توقد به جهنم، كما قال عزَّ وجلَّ: {وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ}"[١٣].

وقيل اتّقاد النارُ بالحجارةِ أشدّ من اتّقادها بالحطب؛ لأنّ هذه الحجارة من كبريت وهى أشدّ الأشياء حرّا إذا أُوقِد عليها، ولها سرعة الاتّقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدّة الالتصاق بالأبدان، فيكون العذاب بها أشدّ، وقُرِن الناس بالحجارة؛ لأنّهم نحتوها واتّخذوها أربابًا من دون الله[١٤]، وقد يكون الّذي جعل المفسرين يذهبون إلى شرح معنى الحصب والحطب كون المتعارف عليه بأن النار توقد من الحطب، واستحالة إيقادها بالحجارة، هذا إن كانت الحجارة التي تُوقد بها النار نفسها التي نعرفها نحن، وقد يكون مسوّغًا لتعدّد القراءات، فحدث التعاقب في عين هذه اللفظة، وأنتج لنا تباينا في المعنى.

٣- التبادل الفونيميّ في لام الكلمة ومنه ما جاء في قوله تعالى: {قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ

يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي}(طه:٩٦).

إذ روى السيد الحائري هذا التعاقب وقال في معناه: "قُرِئ (قُبضةً) بضمّ القاف وهي اسم للمقبوض من اسم المفعول من تسمية المفعول بالمصدر، كضرب الأمير، وقُرِئ (قبضة) بالصاد، والفرق في المعنى أنّ الضادّ بجميع الكفّ والصادّ المهملة بأطراف الأصابع"[١٥].

والقبضة والقبصة لغة:"قَالَ اللَّيْث: القبضُ بِجمع الكَفِّ على الشيءِ. وَقَالَ غَيره: القبضةُ: مَا أخذتَ بجُمْع كفِّكَ كُلّه، فَإِذا كَانَ بأصابعك فَهِيَ القَبْصَةُ بالصَّاد"[١٦].

وقد عرفت العربية التعاقب عند الأوائل من علمائها، إذ تحدّث الزجّاج(ت٣١١هـ) في تفسيره عن معنى القبضة والقبصة فقال:"فالقبضة بجملةِ الكفِ، والقبصة بأطراف الأصَابعِ. ويقرأ بالصاد والضاد"[١٧].

ويبدو ممّا تقدّم أنّ هذا التناوب نتج عنه تغيرٌ في دلالةِ لفظةِ (قبضة) عندما قُرِئت بالصاد، قد يكون التقارب في الدّلالة هو الّذي أدّى لهذا التناوب، فإنّ مخرج الضاد غير مخرج الصاد، وقد يكون العامل المشترك بينهما هو صفة الاطباق فقط، فالضادُ صوتٌ مجهورٌ شديدٌ، والصادُ مهموسٌ رخوٌ[١٨].

ويتبيّن أن صفة الجهر والشدّة التي اجتمعت في جميع حروف (قبضة) جعلت من معناها إغلاق جميع الكفّ والإمساك بهذه القوة والشدة، وأمّا القبصة بالأصابعِ فيدلُّ على عدمِ التشبثِ والرخاوةِ بالإمساكِ وهذا أثرُ صوت الصاد الرخوة في دلالة الكلمة، ويبدو أنّ قراءة (قبضة) بالضاد أقرب للصواب؛ لأنّ السامري قد رأى جبرائيل وقبض على أثره، أي: التراب الّذي داس عليه فرسه، وأهوال انشقاق البحر، ثم علا الماءُ فرعونَ وجيوشَهُ وأغرقهم، فكان السامري في حالةٍ من الخوفِ والتوتّرِ نتيجة الأهوالِ، فمن الاستحالة أنّ يقبض التراب بأطراف أصابعه.

ب- التبادل الفونيميّ في الصوائت القصيرة في اللفظ القرآنيّ:

إنّ للحركة دورًا كبيرًا في تحديد معنى الكلمة، سواء أكان على صعيدِ بِنيتِها التشكيليةِ أم على صعيدِ حالتِها الإعرابيّةِ، وكذا السكون الّذي من شأنِهِ تشكيلُ

ملامح الكلمةِ، وتسمية الحركات بهذه الأسماء مأخوذ من خصائصِها، ويدلّ على هذا ما قام به أبو الأسود الدؤلي عندما أراد تنقيط المصحف الشريف، إذ أخضعَ عمله للتجريبِ والتذوّقِ للحركات، اعتمادًا على وضع الشفاه من فتح وكسر وضمّ[١٩].

وقد حرص السيد الحائري على أن يُبيّنَ هذا المعنى الّذي تُحدثه تبادل الحركة بين الحرف الواحد في الكلمة.

١- التبادل الفونيمي بين الكسر والضمّ في اللفظ القرآني:

عقد ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) لهذا التبادل بين الضمّ والكسر باباً سمّاه(باب فِعْلة وفُعْلة) ذكر فيه أمثلة غزيرة لهذا التبادل، ومن ذلك: نِسْبة ونُسْبَة، وخُفْيَة و خِفْية ذِرْوةٌ وذُرْوَةٌ[٢٠].

وذكر السيد الحائري هذا التبادل في تفسيره (للرجز) في قوله تعالى: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} (المدثر:٥)، فقال:"والرجزُ بالكسرِ العذاب، وبالضمّ الصنم، والمرادُ اهجر ما يؤدّي إلى العذاب، أو جانب الفعل القبيح والخلق الذميم"[٢١]. ففرّق بينهما في الدّلالة، منبّهاً أيضاً على ما بينهما من معنى.

وذكر الفراء (ت٢٠٧هـ) في معانيه تعدّد قراءة لفظ الراء في الزجر فقال:"كسره عاصم والْأَعْمَش والحسن، ورفعه السلمي ومجاهد وأهل المدينة فقرأوا: وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ"[٢٢].

والرجز لغةً:"الرِجْزُ: القَذَرُ، مثل الرِجْسِ. وقرئ قوله تعالى: {والرِجْزَ فاهْجُرْ} بالكسر والضمّ. قال مجاهدٌ: هو الصنم. وأمَّا قوله تعالى: {رِجْزاً من السماء} فهو العذاب"[٢٣].

ومنه أيضًا كلمة (الذكر) في قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}(البقرة:٤٠)، جاء في مقتنيات الدرر:"الذكرُ بضمّ الذال بمعنى الحفظ الّذي يضادّ النسيان، والذكر بكسرِ الذال، يقع على الذكر باللسان، أي: احفظوا بالجنان، واشكروا باللسان نعمتي"[٢٤].

وهناك أمثلةٌ أخرى في هذا النوع من التبادل الفونيميّ وردت في تفسير مقتنيات الدرر منها كلمة(الخطبة) في قوله تعالى: {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ} (البقرة:٢٣٥)، وقد بيّن السيد مير علي الحائري الفرق في الدّلالة بين

كسر الخاء وضمّها فقال:"والخطبةُ بالكسرِ التماس النكاح وبالضمّ الكلام المشتمل على الوعظ، يقال: خطب المرأة أي خاطبها في أمر النكاح"[٢٥].

٢- التبادل الفونيمي بين الضمّ و الفتح في اللفظ القرآنيّ:

روى الفراء[٢٦]، وأبو عبيدة (ت٢٠٨هـ)[٢٧] في مجازه مثل هذا التبادل، ومنه ما جاء في تفسير مقتنيات الدرر في قوله تعالى: {ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ}(الحج: ٩)، فقُرِئت كلمة (ليضلّ) بضمّ الياء وفتحها وهذا التعاقب أدّى إلى تباين في المعنى، والّذي قال به السيد الحائري في تفسير:" {لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ} أي: ليضلّ الناس عن الحق. ومن قرأ (ليَضلّ) بفتح الياء أي: ليضلّ هو عن طريق الحق المؤدّي إلى التوحيد لله، أي: جدله من غير العلم والدليل صار سببا لضلالته عن توحيد الله"[٢٨].

ومعنى (يضلّ) لغة من "ضلَّ يضلُّ ضلالا والضلال ضد الهدى. وضل فِي الْأَمر ضلالا إِذا لم يهتد لَهُ"[٢٩].

وقد ذكر ابن عطية (ت٥٤٢هـ) هذا التعدّد في القراءة في كلمة يضلّ حيث قال: "وقرأ الجمهور (ليضلّ) بضمّ الياء، وقرأ مجاهد وأهل مكة بفتح الياء، وكذلك قرأ أبو عمرو"[٣٠].

وقد أكّد الحنبلي (ت٩٢٧هـ) في فتح الرحمن في تفسير القرآن اختلاف الدّلالة بين القراءتين فقال: "لِيَضلَّ بفتح الياء على اللزوم، وقرأ الباقون: بالضمّ، أي: ليُضلّ هو الناسَ"[٣١].

ويبدو ممّا تقدّم أنّ معنى (يضلّ) هو ضد الهداية سواء كانت بضمّ الياء أم فتحها، إلاّ أن يضلّ بضمّ الياء، أي: أنّ الضلالة للشخص نفسه فقد وقعت عليه هذه الضلالة، بينما قراءة من يفتح الضاد تعني: بأنّ هو الّذي أوقع الناس بالضلالة بإضلاله لهم، فهذه المعاقبة بين الضمّ والفتح جعلت من وقع عليه الفعل هو من أوقع هذا العمل بغيره، أي: من مُضَلّ إلى مُضِلّ.

وهذا التعاقب بين الضمّ والفتح يَرِدُ كثيرا في العربية ومنه في قوله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} (النساء:١٢٥)، إذ فسّر الطوسي (ت٦٤٠هـ) لفظ (الخليل) بأنّه

مشتقّ من الخُلّة، وهو:"بضمّ الخاء الصداقة، والخَلّة بفتح الخاء: الحاجة، واستعمل في الحاجة للاختلال الّذي يلحقُ الفقير فيما يَحتاج إليه، والخُلّة بمعنى الصداقة؛ فلأنّ كلّ واحد منهما يسدّ خلل صاحبه في المودّة والحاجة"[٣٢].

وقد ساق السيد مير الحائري الكثير من الأمثلة في هذا النوع منها كلمة (الخطوة) في قوله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة:١٦٨)، جاء في مقتنيات الدرر: "الخطرة بالفتح المرّة من نقل القدم وبالضمّ بعد ما بين قدمي الماشي، يقال: أتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى واستنّ بسنّته"[٣٣]، وكلمة (غرفة) في قوله تعالى: {فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ}(البقرة:٢٤٩)، فقال الحائري في معناها: "قرئ (غُرفة) بضمّ الغين الشيء القليل الّذي يحصل بالكفّ وبالفتح قرئ وهو الاغتراف مرّة واحدة ومثله (الأُكلة) و(الأَكلة) فإنّ الأكل بالضمّ، أي: الشيء القليل كاللقمة وأشباهها، ولكن الأكلة بالفتح، أي: مرة واحدة، يقال: فلان يأكل بالنهار أكلة واحدة يعني مرّة، والمعنى الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع"[٣٤].

٣- التبادل الفونيمي بين الكسر والفتح في اللفظ القرآني:

ذكر ابن جني بأنّ العرب تفرقُ بين المعنيين بتبادل الحركة في بِنيَةِ الكلمة، فهم يختارون صوت الحركة الأقوى للمعنى الأقوى، ومن ذلك قولهم في الشيء الحلو: حلَى في فمي، يحلَو، وحلِي في عيني[٣٥].

والفارق في الدّلالة بين ما كان حلوًا في المذاق وحلوًا في العين، هو تعاقب الحركة في عينِ الفعلِ بين الفتحةِ والكسرةِ، وقد حرص السيد الحائري على إظهار التباين في الدّلالة في مثل هذا التبادل، ومنه في قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} (الحج:٣٤)، إذ أشار السيد الحائري إلى تعدّد القراءات في كلمة (منسكا) فقُرِئت بكسر السين مرة، وبفتحَها مرة أخرى، ولهذا التبادل في بنية الكلمة أثرٌ في اختلاف الدّلالة، فقولنا من (منسَكا) بالفتح فتعني: نسكًا وعبادةً، وأمّا قولنا: (منسِكا) فتعني:

الموضع[٣٦]،

و(نسكًا) في اللغة جاء في العين: "نسك: النُّسْكُ: العبادة. نَسَكَ يَنْسُكُ نَسْكاً فهو ناسِكٌ"[٣٧].

والمنسك في اللغة:"الموضع الذي فيه النسائك. والمنسك: النسك نفسه"[٣٨].

ومثل هذا التعاقب وارد في العربية ومنه ما ذكره ابن عطية في قراءة كلمة (عوج) فقال: "والعوج بكسر العين في الأمر والمعنى وبفتحها في الأشخاص"[٣٩].

وقد أشار السيد الحائري إلى العديد من هذه الأمثلة ومنها كلمة (العدل) في قوله تعالى: {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}(البقرة:٤٨)، فقال: "والعدل بالفتح مثل الشيء من خلاف جنسه، وبالكسر مثله من جنسه"[٤٠].

ومنه أيضا كلمة (المفرّ) في قوله تعالى: {يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ}(القيامة:١)، أي:"أين الفرار أين موضع الفرار"[٤١].

ونقل الحائري قول الزجاج:"المفرّ بفتح الفاء الفرار وبالكسر موضع الفرار"[٤٢]. وغيرها من الأمثلة[٤٣].

الخاتمة وأبرز النتائج

١- يتضح أنّ تبادل الحروف (الصوامت) والحركات القصيرة(الصوائت) في الكلمة الواحدة يؤدي إلى اختلاف في المعنى، وبدوره ينعكس على السياق بأكمله ممّا إلى توليد دلالات مختلفة، قد يترتّب عليها حكم شرعي يخالف القصد الّذي أراده الشارع المقدس.

٢- وممّا تقدّم يتضح أنّ السيد الحائري كان مدركا للأثر الصوتي وفاعليته في تحديد دلالة اللفظ، وهذا ما يؤكِّد قدرة السيد مير علي الحائري وما يتمتّع به من مخزون لغويّ ومعرفيّ؛ إذ كان يمتلك القدرة على التمييز بين دلالة لفظة وأخرى وإن اختلفت عنها بصامت أو صائت واحد فقط.

الهوامش:

١- العين: ٨/ ٤٥.

٢- المنجد: ١/ ١٣٨.

٣- ينظر: الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث: ٤٣١-٤٣٢-٤٧٣.

٤- الخصائص: ٢/ ١٥٩ .

٥- المزهر: ١/ ٣٥٥.

٦- ينظر: الكتاب ٤/ ٤٣٣.

٧- ينظر: الخصائص ٢/ ١٤٨.

٨- مقاييس اللغة: ١/ ١٣.

٩- الفتح القدير: ٣/ ٤١٣ .

١٠- ينظر: مقتنيات الدر: ٧/ ٧٦

١١- ينظر: المصدر نفسه: ٧/ ٢٤٧.

١٢- ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤ - ٤٣٦ .

١٣- معاني القران: ٣/ ١٠٤.

١٤- ينظر : روح البيان: ١٠/ ٥٩.

١٥- مقتنيات الدرر: ٧/ ١٤٥ .

١٦- تهذيب اللغة: ٨/ ٢٧٢ .

١٧- معاني القران: ٣ / ٣٧٤ .

١٨- ينظر: الاصوات اللغوية: ٢١-٢٣-٢٥.

١٩- ينظر: مراتب النحويين:١٩.

٢٠- ينظر: اصلاح المنطق: ٩٠-٩١.

٢١- مقتنيات الدرر: ١١/ ٣٥٩.

٢٢- معاني القران : الفراء: ٣/ ٣٠٠ .

٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/ ٨٧٨.

٢٤- مقتنيات الدرر: ١/ ٢١٧.

٢٥- مقتنيات الدرر: ٢/ ١٠٨، وينظر: المصدر نفسه (فيحّل) ٧/ ١٣٠.

٢٦- ينظر: معاني القران: ٢/ ٢٢٢.

٢٧- ينظر: مجاز القرآن: ٢/ ٥٣

٢٨- مقتنيات الدرر: ٧/ ٢٦٩.

٢٩- جمهرة اللغة: ١/ ١٤٧.

٣٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ١٠٩.

٣١- فتح الرحمن في تفسير القرآن: ٤/ ٤٠٥.

٣٢- التبيان ٣ / ٣٤١ .

٣٣- مقتنيات الدرر ٢/ ٧.

٣٤- المصدر نفسه ٢/ ١٣١.

٣٥- ينظر: ابن جني عالم العربية للدكتور حسام النعيمي: ٩٣.

٣٦- ينظر: مقتنيات الدرر: ٧/ ٢٩٣ .

٣٧- العين: ٥/ ٣١٤.

٣٨- المصدر نفسه: ٥/ ٣١٤ .

٣٩- المحرر الوجيز: ٤/ ٥٢٩ .

٤٠- مقتنيات الدرر: ١/ ٢٣٥.

٤١- المصدر نفسه: ١٢/ ٧.

٤٢- المصدر نفسه: ١٢/ ٧.

٤٣- المصدر نفسه ١٢/ ٢١.

المصادر والمراجع:

١- الإبدال في لغات الأزد دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث: أحمد بن سعيد قشاش، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة،١٤٢٢هـ. ٢٠٠٢م.

٢- ابن جني عالم العربية: حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٩٠ م .

٣- إصلاح المنطق: أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت (ت٢٤٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠م.

٤- الأصوات اللغوية: الدكتور ابراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٥٧م.

٥- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير، المطبعة العلمية ومطبعة النعمان، النجف، ١٩٥٧ه ١٩٦٥م.

٦- تفسير مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر: للسيد مير علي الحائري(ت١٣٥٣ه)، تحقيق: السيد محمد وحيد الحائري، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه. ٢٠١٢م.

٧- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: يعقوب بن عبد النبي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع كل العرب بالقاهرة.

٨- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت٣٢١هـ)، طبعة بالأوفسيت، دار صادر، بيروت.

٩- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان.

١٠- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت١١٢٧هـ)، دار الفكر - بيروت.

١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ،دار الكتاب العربي بمصر.

١٢- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد،١٩٨١م.

١٣- فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي(ت ٩٢٧هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر(إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلاَمِيّةِ)، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.٢٠٠٩ م.

١٤- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٤ ه.

١٥- الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م .

١٦- مجاز القرآن: ابو عبيد معمر ابن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٧٠م.

١٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨- مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي(ت١٩٧٤ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة- مصر.

١٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ١٩٩٨م.

٢٠- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م .

٢١- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٦هـ.